معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس (جوامع الأخبار)

شرح الشيخ

(أبي عبادة محمود الراعوش)

حفظه الله

الدرس رقم (٢)

التاريخ: ٢١/شوال/١٤٤٠ هـ

٢٤/حزيران/٢٠١٩ م

الدرس الثاني من جوامع الأخبار

وهو تتمة شرح الحديث الأول وشرح الحديث الثاني: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، ويشتمل هذا الدرس على:

■ تتمة شرح المسألة الخامسة من الحديث الأول وهي: **ما معنى كل من الرياء والسمعة وشرك الإرادة والفرق بينها.**

- المسألة السادسة: متى يجوز التشريك بين نية الدنيا ونية الآخرة.
- المسألة السابعة: تصويب النية في المباحات.

■ شرح الحديث الثاني: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، وفيه:

- أنه ميزان الأعمال الظاهرة وبيان المقصود من هذا.
- أن الاتباع واجب في العقيدة والمنهج، وفي العبادات الظاهرة، وفي منهج الدعوة إلى الله...وغير ذلك.
- ذكر معنى الاتباع في ذلك.
- أنه ليس في العبادة بدعة حسُنَّة.
- أن البدعة تبدأ صغيرة ثم تكبر حتى تخرج صاحبها من الملة.

°●°●°●°●°●°●°●°●°●°

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه، أما بعد..

فهذا هو الدرس الثاني من شرح (جوامع الأخبار) وهو تتمة لشرح الحديث الأول، ثم شرح الحديث الثاني إن شاء الله.

وقد وقفنا عند المسألة الخامسة ولم نكملها وهي: «**ما معنى كل من الرياء والسمعة**

وشرك الإرادة؟»

وذكرت في الدرس الماضي بعض الأمثلة على شرك الإرادة، وسنذكر الآن إن شاء الله مزيدا من الأمثلة الواقعة بين الناس لأهميتها وخطرها على الأعمال الصالحة.

من الأمثلة على شرك الإرادة: الإمام والمؤذن وخادم المسجد، إذا كانت غاية هؤلاء الوظيفة والراتب الشهري والسكن في المسجد فهذه إرادات فاسدة.

ولا مانع أن تخصص الدولة راتبا شهريا للإمام والمؤذن والخادم، ولا مانع أن ينتفعوا بالراتب وبالسكن ولكن على أن ينوي الواحد منهم أن يكون ذلك مقابل التفرغ للإمامة والأذان وخدمة المسجد، فيقوم بهذه الاعمال تقربا الى الله لا لهذه الأغراض.

وإنما يُجعل له هذا المال مقابل تفرغه وليس أجرة على الإمامة والأذان وخدمة المسجد، ولذلك يسمي الفقهاء هذا المال «جُعالة» ولا يسمونه أجرة؛ لأنه لا يجوز أن يكون أجرة مقابل عبادته، إنما هو «جُعالة»، أي جعلوا له هذا المال حتى يتفرغ لهذه الاعمال العظيمة، وإلا لتعطلت المساجد وتعطلت شعيرة الصلاة في جماعة، ومثله ما كان يُجعل لخليفة المسلمين من مال حتى يتفرغ لشؤون الدولة.

ومن الأمثلة الخطيرة جدا على شرك الإرادة: طلب العلم الشرعي فإن طلب العلم الشرعي عبادة عظيمة جدا، قال الإمام أحمد رحمه الله: «لا شيء يعدل العلم لمن صحت نيته»، تأمل قوله: «لمن صحت نيته»، هذا القيد دلّت عليه الأدلة الكثيرة من الكتاب والسُنَّة.

فلابد يا طالب العلم أن تصحح النية وذلك بأن تبتغي بطلب العلم وجه الله والدار الآخرة، سواء كان طلبك للعلم عند المشايخ أو في المعاهد والجامعات أو بدراسة الكتب، يجب أن تحذر من شرك الإرادة والرياء والسمعة.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يَعْنِي رِيحَهَا، أخرجه أبو داود ٣٦٦٤ وغيره وصححه الألباني.

وكيف يقع شرك الإرادة والرياء والسمعة عند طالب العلم؟

الجواب: يقع ذلك في عدد من الصور والحالات نذكر شيئا منها حتى نحذرها: منها كأن يطلب العلم الشرعي وليس له هم إلا الوظيفة أو المنصب أو الجاه، أو يكون همه المباهاة والفخر حتى يقال عنه عالم أو يقال عنه خطيب مفوّه أو يقال حافظ أو يقال صوته جميل، وغير ذلك من النوايا والإرادات الفاسدة.

فمن كان كذلك فليس له ثواب على طلب العلم بل هو آثم ويستحق العذاب والعياذ بالله، كما ثبت في «الحديث الرهيب» في صحيح مسلم (١٩٠٥) الذي فيه أن أول ما تُسَعَّر النار يوم القيامة في عالم أو قارئ للقرآن، وطلب العلم عبادة فمن صرفه لغير الله فقد أشرك وبطل عمله.

*** والأدلة على تحريم شرك الإرادة كثيرة جدا منها:**

- حديث «إنما الأعمال بالنيات» وهو الحديث الذي معنا، والشاهد منه قوله صلى الله عليه وسلم: «...وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» فهذه إرادة دنيوية، أراد الدنيا بعمل الآخرة.

- ومن الأدلة قوله تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ☆ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: ١٥، ١٦]

قال البغوي رحمه الله: «نزلت في كل من عمل عملا يريد به غير وجه الله»، فهذه الآية دليل على تحريم الرياء والسمعة وشرك الإرادة.

- ومن الأدلة أيضا: الآيات (١٨، ١٩) من سورة الإسراء قال الله عز وجل: {مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا(١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا(١٩)} [الإسراء: ١٨، ١٩]وهذه الآيات تشبه آيات سورة هود.

والأدلة في هذا الباب كثيرة وفيما ذكرنا كفاية.

المسألة السادسة في هذا الحديث: متى يجوز التشريك في النية بين الدنيا والآخرة؟ أي هل يجوز أن ينوي بعبادته الأجر في الآخرة وفي الدنيا أيضا؟

وهذه مسألة مهمة جدًا، **والجواب** أن شرك الإرادة يقع على صورتين:

• الصورة الأولى: أن لا يريد بعمله الا الدنيا؛ وهذا محرّم وعمله باطل كما تقدم شرحه، كالمجاهد والمهاجر وطالب العلم لا يريد إلا الدنيا.

• الصورة الثانية: وهي محل الجواب أن يريد بعمله الدنيا والاخرة معا.

فما حكم ذلك؟ هذا فيه تفصيل على النحو الآتي:

فنقول، الأصل أن عمله باطل إلا ما ورد فيه دليل صحيح يدل على جواز التشريك في النية بين الدنيا والآخرة، ومن الأمثلة على ذلك:

- **المثال الأول:** المتابعة بين الحج والعمرة يريد بذلك المغفرة لذنوبه والغنى من فقره، فهذا جائز بشرط أن يقدم نية الآخرة.

والدليل على جوازه قوله صلى الله عليه وسلم: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ وَالذهب والفضة» (أخرجه الترمذي ٨١٠ وغيره).

فله أن ينوي نفي الفقر لكن يقدم نية الآخرة وهي مغفرة الذنوب، لأن نفي الفقر يحصل له بدون نية بإذن الله، أما مغفرة الذنوب فلا بد لها من نية صالحة.

- **المثال الثاني:** صلة الأرحام: أن يصل رحمه يريد بذلك الثواب من الله، ويريد أيضا الزيادة في الرزق، والزيادة في العمر، فيجوز أن ينوي هذه الأمور الثلاثة معا، بشرط أن يقدم نية الآخرة وهي الثواب من الله.

والدليل على جواز ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي في الصحيحين: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»

(أخرجه البخاري: ٢٠٦٧، ٥٩٨٥، ٥٩٨٦، ومسلم: ٢٥٥٧).

قوله: «يُبسَط له في رزقه»؛ يعني يصل رحمه يريد الغنى وزيادة الرزق. (يُنسأ له في أثره)؛ أي يؤخَّر له في عمره أي يطول عمره، يجوز أن ينوي هذه النوايا ولكن بشرط أن يقدم نية الآخرة كما ذكرنا.

وإنما صلة الرحم سبب شرعي لزيادة الرزق وطول العمر، وهذا يأتيه . بإذن الله . ولو لم ينو ذلك، أما ثواب الآخرة فلا يأتيه إلا بنية صالحة.

- **مثال ثالث**: رجل جاهد لتكون كلمة الله هي العليا ويريد أيضا الدفاع عن وطنه، فله ذلك ولكن بشرط أن يقدم نية الآخرة؛ لأن الدفاع عن الوطن مشروع لكنه وسيلة وليس غاية؛ فندافع عن الوطن لتكون كلمة الله هي العليا، أي لتكون البلاد بلاد إسلام فالغاية الأولى ان تكون كلمة الله هي العليا، فلو كان الوطن دار كفر فلا يجوز الدفاع عنه.

**** وخلاصة هذه المسالة:**

أن الأصل أن ينوي المسلم وجه الله والدار الآخرة بعمله التعبدي، هذا هو الأصل، ولكن إن وُجِد دليل على جواز نية الدنيا فله أن ينويها، ولكن يؤخرها ويقدم نية الآخرة.

والأفضل أن لا ينوي الدنيا أصلا، يجعل في قلبه نية الآخرة فقط ولا يفكر في الدنيا، لأن الدنيا تأتيه ولو لم يقصدها، بخلاف ثواب الآخرة فإنه لا يأتيك إلا بنية صالحة خالصة من الشرك.

المسألة السابعة: تصويب النية في المباحات:

أي أن تستحضر نية صالحة تتقرب بها إلى الله تعالى عند مباشرة أي عمل مباح؛ لأن المباح هو «ما لم يرِد فيه أمر ولا نهي لذاته» كالطعام والشراب والنوم والكلام والسكوت والنظر واللباس والأشغال الدنيوية المباحة والضحك والمزاح والتنزه، وغير ذلك مما هو ليس واجبا ولا محرّما لذاته، هذه المباحات إن فعلها المسلم فلا يُثاب عليها ولا يأثم، ولكنه يأثم

إذا أدّت إلى محرّم أو صدّت عن واجب.

وليس هذا موضوع الكلام، موضوع الكلام أنه يُثاب عليها إذا نوى بها التقرّب إلى الله تبارك وتعالى.

فمثلاً يأكل الواحد منا ويشرب وينام ينوي أن يتقوّى على عبادة الله وهذه نية صالحة يؤجر عليها، ويلبس ثيابه ليستر العورة وليُظهِر نعمة الله عليه، ويتبسم لأخيه ليُدخِل السرور عليه، وينفق على نفسه وعياله ينوي بهذه النفقة الصدقة عليهم، وحتى يكفي نفسه وأهله عن الحاجة لما في أيدي الناس...

وهكذا فكل عمل مباح في أصله لا تُثاب عليه إلا بنية صالحة تتقرب بها إلى الله، فتصير حينئذ كل حركة وسكنة قربة لك عند الله عز وجل، وتصير العادات عبادات.

وأما من يجهل هذا الباب فإنه يضيّعه، بل ومنهم من تصبح العبادات عنده عادات فلا يكاد يؤجر على العبادة، والله المستعان.

أما الأدلة على هذه المسألة فكثيرة:

١- منها عموم حديث «إنما الأعمال بالنيات..».

٢- ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لخاله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما كان مريضا في مكة: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ، إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً..» (متفقٌ عليه أخرجه البخاري: ٥٦، ١٢٩٥، ٣٩٣٦، ٤٤٠٩، ٦٣٧٣ ومسلم: ١٦٢٨).

فأرشده رسول الله إلى استحضار النية الصالحة في النفقة فقال له: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ...»، هذا هو الشرط: أن تبتغي بها وجه الله.

ومعنى قول سعد «أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي؟» أي يسأل هل سيموت في مكة فيبطل أجر هجرته؟ فأخبره النبي أنه حتى ولو تأخر في مكة فإنه يؤجر على كل نفقة يبتغي بها

وجه الله حتى ما ينفقه على زوجته.

٣- ومن الأدلة: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ» وفي رواية مسلم قال: «إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ» أخرجاه في الصحيحين: البخاري٢٨٣٩، ٤٤٢٣ ومسلم ١٩١١.

فإن تصويب النية واستحضارها نافع جدا؛ فإن المسلم يؤجر على مجرد النية إذا هو لم يستطع العمل بها، كما حصل لهؤلاء الصحابة وهم الفقراء الذين عزموا على الجهاد في غزوة تبوك – غزوة العسرة – لكنهم لم يجدوا النفقة ولا الظهر، فجاءوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يطلبون ظهرا ليجاهدوا عليه، فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: {لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ} [التوبة: ٩٢]/ وكانوا سبعة نفر، فأجرى الله لهم بفضله أجر الجهاد كاملا وهم جالسون في بيوتهم في المدينة بالنية الصالحة.

وبناء على ما تقدم: يصح أن يقال عن الأشغال والحِرف الدنيوية: «**العمل عبادة**»، فهذه العبارة صحيحة ولكن بثلاثة شروط:

الاول: أن يكون العمل مباحا.

الثاني: أن لا يصدّ عن واجب ولا يعين على محرّم.

الثالث: أن تنوي به التقرّب إلى الله، كما تقدم.

وكثير من الناس اليوم يقولون عن الأعمال المحرّمة «العمل عبادة»، ومنهم من يترك الواجب وينشغل عنه بالعمل ويقول «العمل عبادة»، فهو إن نجا من هذين فكثير منهم لا يُصوّب نيته.

فهذا الحديث «إنما الأعمال بالنيات..» حديث جامع لأبواب الخير كلها إذا وُفّق العبد

للنية الصالحة. والناس يتفاوتون تفاوتا عظيما بحسب نواياهم وبحسب قوة إخلاصهم لله تبارك وتعالى:

فمن علت همته وقصد بكل عمل التقرب إلى الله فهذا له الجزاء الأوفى والمنزلة العليا، ومن نقصت همته ونزلت عن ذلك نقص ثوابه وفاته من الخير بحسب ما فوّت على نفسه من النية الصالحة، وبحسب ما نواه من النوايا الفاسدة العاجلة.

أما من جهل هذا الباب العظيم ولم يتعلمه فلم يكن له هم إلا الثواب العاجل فهذا قد فسدت نيته وبطل عمله واستحق العذاب بالنار والعياذ بالله.

فهذا باب عظيم من الخير ومضمار واسع يتسابق فيه المتسابقون.

وهذا الحديث شامل لعدد لا يُحصى من المسائل غير المسائل التي تكلمنا عنها من ذلك:

- أنه يُبطل جميع صور التحايل على الشريعة، لأن الأعمال بالنيات.
- ويشمل من همّ بحسُنَّة فلم يفعلها؛ فله أجرها.
- ويشمل من همّ بسيئة فتركها لله وخوفا من الله؛ فله أجرها.
- ويشمل من عزم على المعصية ولم يقدر عليها فعليه وزرها، ومثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «...القاتل والمقتول في النار» أخرجه مسلم ٢٨٨٨؛ وذلك لأن المقتول عزم على قتل أخيه، بل وقاتله بالفعل وما منعه من قتله إلا العجز، فهذا يحمل وزر نيته مع أنه لم يفعلها.
- ويشمل جميع المباحات، كما تقدم بيانه.

فهذا حديث عظيم النفع لمن تفقّه فيه، وعمل به، واحترز من النوايا الفاسدة.

[شرح الحديث الثاني]

هذا الحديث في ميزان الأعمال الظاهرة، وفي رد كل عبادة ليس عليها دليل من الكتاب أو من السُنَّة أو من أقوال الصحابة.

قال المؤلف رحمه الله: «عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه»، وفي رواية، «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» متفق عليه».

ذكر المؤلف رحمه الله لهذا الحديث روايتين:

- الأولى: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، هذه الرواية متفق عليها (البخاري: ٢٦٩٧، ومسلم: ١٧١٨)، واللفظ لمسلم.
- الثانية: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»؛ هذه أخرجها مسلم (١٧١٨)، وذكرها البخاري تعليقا قبل الحديث (٢١٤٢)، وقبل الحديث (٧٣٥٠)

قال العلماء هذا الحديث ميزان في الأعمال الظاهرة، وليس المقصود أن البدع لا تقع إلا في الأعمال الظاهرة، بل تقع البدع في الاعتقادات الباطنة وفي الأقوال والأعمال الظاهرة، ولكن قصدهم أن العمل يجب أن يجتمع فيه شرطان:

- الشرط الأول: الإخلاص، وهذا عمل قلبي باطن، ودليله وميزانه حديث عمر المتقدم.
- الشرط الثاني: المتابعة، وهذا عمل ظاهر، ودليله وميزانه حديث عائشة هذا.

فيؤخذ من حديث عائشة أنه ميزانٌ في الأعمال الظاهرة، ولا يمنع أن يكون ميزانا للأعمال الباطنة أيضا، لأن العقيدة يجب أن تكون موافقة للسُنَّة، ولكن حديث عمر أصرحُ في كونه ميزانا للأعمال الباطنة.

إذن فالمتابعة للسُنَّة شرط لقبول الظاهر والباطن، أي شرط لقبول الاعتقاد والقول والعمل، هذا هو المقصود.

ولذا يجب أن تكون العقيدة موافقة للسُنَّة، وكذلك العبادات والمعاملات، وايضا منهج الفهم، ومنهج الدعوة إلى الله، وكل عبادة يُشترَط فيها أن توافق السُنَّة وإلا فلا تُقبَل، لأن كل عبادة مخالفة للسُنَّة فهي بدعة والبدعة مردودة، فالاتباع والابتداع ضدان لا يجتمعان.

**** فما هو الاتباع؟ وماهي البدعة؟**

- الاتباع هو: التّعبّد لله بما كان عليه رسول الله وأصحابه.

- والبدعة هي: التّعبّد بما لم يكن عليه الرسول وأصحابه.

وقد أخذ السلف الصالح رضي الله عنهم هذه التعريفات من قول الرسول صلى الله عليه وسلم في وصف الفرقة الناجية: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» (أخرجه أبو داود ٤٥٩٧، والترمذي ٢٦٤١)، ومن غيره من الأحاديث.

فالاتباع واجب في كل عبادة وليس في الظاهر فقط كما تقدم، ولذلك فالاتباع أنواع كثيرة ومجاله واسع جدا، ولكن يمكن أن نذكر أهم أنواعه وأبرزها، ومن ذلك:

- الاتباع في العقيدة والمنهج.
- والاتباع في العبادات.
- والاتباع في منهج الدعوة إلى الله.
- والاتباع في التحليل والتحريم.
- والاتباع في المعاملات والأخلاق. وغير ذلك.

◊ أما الاتباع في العقيدة والمنهج:

فضابطه أن العقيدة توقيفية، فلا تؤخذ إلا من الكتاب والسُنَّة وبفهم الصحابة والسلف الصالح.

فيجب اتباع الكتاب والسُنَّة في جميع مسائل العقيدة والمنهج، وأن نفهمها بفهم السلف الصالح. وذلك لسببين رئيسيين، أو قل لدليلين:

أولاً لأن السلف الصالح أجمعوا على جميع مسائل العقيدة والمنهج، ولم يختلفوا في

شيء من ذلك أبدا، ومن توهّم غير ذلك فهو مخطئ.

وثانياً لأن جميع مسائل العقيدة والمنهج منصوص عليها، ولا اجتهاد في مورد النص.

فبما أنها منصوص عليها ومجمَع عليها فما علينا إلا الاتباع، ما علينا إلا إتباع سبيلهم البيّن الواضح، فمن اجتهد في شيء من العقيدة والمنهج فقد خالف سبيل المؤمنين، ولا يُعذَر حينئذ لأنه اجتهد في موطن الاتباع، وهو مأمور بالاتباع.

فنفهم الشريعة بفهم السلف الصالح، ولا نخرج عن أقوالهم، بل نختار منها الأقرب للدليل إن وجد أكثر من قول، لأن ما لم يكن في القرون الثلاثة الأولى دينا فلا يكون اليوم دينا.

والابتداع في العقيدة والمنهج أخطر أنواع الابتداع، لأنه يؤدي إلى الزيغ عن صراط الله المستقيم، فإن الفِرَق التي شذّت عن سبيل المؤمنين وافترقت إلى اثنتين وسبعين فرقة إنما خالفت عقيدة ومنهج السلف الصالح.

افترقت الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة . كما تعلمون . واحدة منها اتبعت السُنَّة، واثنتان وسبعون ابتدعت وخالفت السُنَّة فضلّوا عن الحق، فهلكوا في النار.

الباطل سبله متعددة؛ اثنان وسبعون سبيلا، والحق سبيله واحد هو سبيل المؤمنين، ومن هم الذين يستحقون هذا الوصف – وصف «المؤمنين»؟

إنهم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين، ثم من كان على ما كان عليه الرسول وأصحابه بعدهم إلى يوم الدين.

وقد أمرنا الله في كتابه أن نتبع سبيل الصحابة فقال تعالى {وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣]

{وأن هذا صراطي مستقيما}، سبيل الحق واحد {فاتبعوه ولا تتبعوا السبل}، السبل: هي سبل الباطل الكثيرة المتفرقة، فلا يجتمع أهل الباطل على كلمة واحدة، {فتفرق بكم عن

سبيله}.

فتفرق أهل البدع إلى سبل مختلفة، إلى اثنتين وسبعين فرقة، واتّبع أهل الحق السُنَّة واجتمعوا عليها، اجتمعوا على سبيل واحد ولم يتفرقوا فسُمّوا «**أهل السُنَّة والجماعة**»، لأنهم لم يختلفوا في العقيدة والمنهج، وهكذا؛ فإن الاتّباع والاجتماع قرينان، وإن الابتداع والافتراق قرينان.

فاتّبع ولا تجتهد في العقيدة، لا مجال للاجتهاد في العقيدة ولا مجال للعقل في العقيدة، إنما هو الاتّباع كما أوصانا أسلافنا رضي الله عنهم فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : «اتّبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتم».

وأحسن منه قول ربنا تبارك وتعالى: {اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم} (الأعراف ٣)، فهذا أمر باتباع الكتاب والسُنَّة، والاتباع يقتضي ترك إعمال العقل وترك الاجتهاد في العقيدة.

ويجب على كل أحد أن يتمسك بالعقيدة بقوة، كما أمرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «... فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»، أخرجه أحمد ١٧١٤٤ وغيره من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

فقوله: «عضوا عليها بالنواجذ» أي تمسكوا بها بقوة، ثم قال «وإياكم ومحدثات الأمور»، أي دعك من الآراء والأقوال والعقول فكلها مهلِكة، لقوله صلى الله عليه وسلم بعدها «فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وإن كل بدعة ضلالة».

وهذا العلم – علم العقيدة والمنهج – محله كتب العقيدة والمنهج، وكتب السُنَّة المعروفة.

◊ **أما الاتباع في العبادات:**

فدلت عليه أحاديث كثيرة منها حديث الباب «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ»، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» في الصحيحين

(البخاري: ٥٠٦٣ ومسلم ١٤٠١)، وغيرها من الاحاديث كلها أدلة على وجوب اتباع سُنَّة محمد صلى الله عليه وسلم في العبادات الظاهرة وإلا فلا تُقبَل.

*** وضابط اتباع السُنَّة في العبادة الظاهرة يرجع إلى ستة أمور:**

- الأول: اتباع السُنَّة في زمن العبادة.
- الثاني: في مكانها.
- الثالث: في سببها.
- الرابع: في قدرها.
- الخامس: في جنسها.
- السادس: في كيفيتها.

هذا ما ذكره العلماء بالاستقراء، ذكره الشيخ العلامة محمد العثيمين رحمه الله في عدد من كتبه ودروسه، منها كتابه «الإبداع في بيان كمال الشرع وخطر الابتداع».

ومعنى هذه الضوابط الستة:

أنه إذا جاءت العبادة مقيدة بمكان فلا تصحّ في غيره، مثاله: الوقوف في عرفة ومزدلفة والطواف بالكعبة فالعبادة لا تصحّ في غير هذه الأماكن.

وإذا قُيِّدت العبادة بزمان فلا تصحّ في غيره، مثاله: أن ركن الصيام لا يصحّ إلا في شهر رمضان، وأن ركن الحج لا يصحّ الا في أشهر الحج.

وإذا قُيِّدت العبادة بسبب فلا تصحّ إلا به، مثاله: مواقيت الصلوات الخمس، فمثلا وقت الظهر يدخل بزوال الشمس، فلا تصحّ صلاة الظهر إلا بعد زوال الشمس.

وإذا قُيِّدت العبادة بمقدار معين فلا تصحّ إلا به، والمراد بالمقدار الوزن والكيل والعدد. مثال الكيل: مقدار صدقة الفطر صاع من طعام عن الفرد الواحد فلا تصحّ بأقل من صاع. ومثال العدد: عدد ركعات الصلاة.

وإذا قُيِّدت العبادة بجنس معيّن فلا تصحّ في غيره، ومثاله: أن زكاة الفطر قُيِّدت بجنس الطعام فلا يصحّ أن تُخرَج نقودا، وأن زكاة النقود تُخرَج من جنسها من النقود فلا يصحّ أن تُخرَج ثيابا أو طعاما، وأن زكاة الزروع تُخرَج من جنسها وكذلك زكاة الأنعام من جنس الأنعام، وهكذا.

وأيضا مثال آخر: أن الأضحية والهدي لا تُجزئ إلا من جنس الأنعام من الدواب وهي الإبل والبقر والغنم.

وإذا قُيِّدت العبادة بكيفية معينة فلا يجوز التّعبّد بغيرها، ولا تصحّ العبادة بكيفية مخالفة، مثل كيفية الصلاة وكيفية الذكر، فذكر الله مشروع لكن لا يُشرَع الذكر مع الرقص وضرب الدف ولا بصوت جماعي ولا بصوت موحَّد، ولا يجوز رفع الصوت بالذكر إلا فيما ورد مثل التلبية وتكبيرات العيدين.

فمن خالف في شيء من هذه الأصول الستة فعمله مردود، لقوله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». ولأنه ليس من شريعة الله، لقول الله عز وجل: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّه} [الشورى: ٢١]، قال الإمام الطبري رحمه الله: «يقول: ابتدعوا لهم من الدين ما لم يُبِح الله لهم ابتداعه».

◊ ومن الاتّباع الواجب الاتّباع في أسلوب ومنهج الدعوة إلى الله:

فهذا داخل في الكيفية التي تقدم ذكرها. والسؤال المهم هو: **كيف تكون الدعوة إلى الله موافقة للسُنَّة؟** الفرق والأحزاب الضالة لا يسألون أنفسهم هذا السؤال:

- فمنهم من تحزّب وظن أن الدعوة إلى الله تكون بالتحزّب فأنشأ حزبا فزاد في تفرّق وتشرذم الأمة وإضعافها.
- ومنهم من توهّم أن الدعوة وإصلاح الأمة يكون بالثورة على الحكام المسلمين وتكفيرهم وانتزاع الحكم منهم فأحدثوا فتنا وخرابا لا يعلمه إلا الله، فأفسدوا الدين والدنيا معا.
- ومنهم من توهّم أن الإصلاح يكون بتكفير المسلمين فخرجوا على المسلمين يكفّرونهم بغير حق وبغير دليل فسفكوا دماءهم وانتهكوا أعراضهم وسلبوا أموالهم.

- ومنهم من قال إن الدعوة الحقيقية هي الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة فقط وليس الدعوة إلى التوحيد، فجعل هذا هو الأساس في الدعوة إلى الله وصار يحارب التوحيد وأهل التوحيد وأهل السُنَّة ويدافع عن الشرك.
- ومنهم من زعم أن حلقات الذكر بالرقص والتمايل والقفز على إيقاع المعارف هو الذي يصلح النفوس ويصلح الأمة.

وهذه المناهج وغيرها الكثير كلها فاسدة و كلها سبُل ضلالة، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها.

وسبيل الحق في الدعوة هو سبيل محمد وإخوانه الأنبياء عليهم الصلاة السلام أجمعين، فلا يوجد نبي واحد سلك سبيلا من سبُل الضلالة هذه، ولكنهم جميعا سلكوا سبيلا واحدا هو سبيل العلم والإخلاص، سبيلهم هو: «الدعوة إلى توحيد الله ومعرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله وطاعته وطاعة الرُّسُل».

هذا هو منهج الرُّسُل جميعا ومنهج نبينا صلى الله عليه وسلم، والأدلة على هذا المنهج كثيرة جدا؛ منها:

- **الدليل الأول:** أن الرسول صلى الله عليه وسلم مكث في مكة ثلاثة عشر عاما لا يدعو إلا إلى توحيد الله، وكان يقول للناس: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» أخرجه أحمد (١٦٠٢٣) وغيره.

ولم تُفرَض الصلاة إلا قبل الهجرة بقليل، وفُرِضت الزكاة والصيام والحج والجهاد بعد الهجرة.

- **الدليل الثاني:** أن الرسول صلى الله عليه وسلم علّم معاذا كيف يدعو أهل اليمن فقال: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ،..» الحديث متفق عليه (البخاري: ١٣٩٥، ١٤٩٦، ٤٣٤٧، مسلم: ١٩)

فأمره أن يبدأ بالدعوة إلى توحيد الله أولا، ثم الصلاة، ثم الزكاة.. ولم يأمره أن يثور

على الحاكم، ولا أن يُكوّن حزبا، ولا أن يدعو إلى الأخلاق دون التوحيد.

- **الدليل الثالث:** أن هذا هو منهج جميع الرسل، وثبت هذا بنصوص القرآن، فقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦]، كل رسول جاء يدعو إلى التوحيد {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}؛ هذا هو التوحيد.

وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥].. ما أرسل الله رسولا قبل نبينا الا أوحى اليه بماذا؟ بالدعوة إلى توحيد الله في العبادة، {إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} هذا هو منهج الرسل.

وجميع الرسل قالوا: {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ}؛ قالها نوح لقومه في سورة (الأعراف: ٥٩)، و(المؤمنون: ٢٣)، وقالها هود لقومه عاد في سورة (الأعراف: ٦٥)، وسورة (هود: ٣٣، ٥٠)، وقالها صالح لقومه في سورة (الأعراف: ٧٣) وسورة (هود: ٦١)، وقالها شعيب لأهل مدين في (الأعراف: ٨٥)، وفي (هود: ٨٤)، **فما من رسول إلا بدأ بالدعوة إلى التوحيد.**

ثم.. يجب أن يسبق الدعوةَ العلمُ، فلابد أن يكون الداعي إلى الله على علم بما يدعو إليه، قال تعالى: {قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين}. (يوسف ١٠٨):

- {قل}: الخطاب للنبي عليه السلام.
- {هذه سبيلي}: أي: هذه طريقتي وسنتي في منهج الدعوة وغيره.
- {أدعو إلى الله}: أي إلى توحيد الله.
- {على بصيرة}: أي: على علم.
- {أنا ومن اتبعني}: فالاتباع واجب في طريقة الدعوة.
- {وسبحان الله}: أنزّه الله عن الشريك.

- {وما أنا من المشركين}: فبدأ بالتوحيد وختم بالتوحيد، ونزّه الله عن الشريك.

فلا بد أن يكون الداعية على **علم بالتوحيد** أولا، ثم **العلم** بما يحتاج أن يدعو إليه من الشريعة، وبعد العلم **العمل**؛ أن يعمل بما علم، ثم **التواصي بالحق** وهو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسُنَّة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة لكل مسلم، **والتواصي بالصبر** على ما تقدم ذكره، كما في سورة العصر.

فهذه سُنَّة محمد صلى الله عليه وسلم في الدعوة، وهكذا بيّن لنا الرسول صلى الله عليه وسلم منهج الدعوة إلى الله.

وبيَّن لنا ما هي عُدّة الداعية إلى الله: عُدّته العلم والاتّباع، والدعوة إلى التوحيد أولاً ثم إلى سائر الشريعة. ومن ترك هذا الهدي من الدعاة فسوف يضل وسوف يضلل غيره، ولسوف يصد عن سبيل الله وهو يدري أو لا يدري،

وهذه الفرق والأحزاب الكثيرة قد أفسدت أيما إفساد، وصدّت عن سبيل الله، وهم يزعمون أنهم يريدون الإصلاح {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ(١٢)} [البقرة: ١١، ١٢]

هذه السبل الفاسدة المفسدة من الخوارج والمرجئة والمعطلة والمشبهة والرافضة والقبوريين والأحزاب المعاصرة الكثيرة التي لا تخفى عليكم من الإخوان والتكفيريين والتبليغيين والصوفية والأشعرية.. وغيرهم من العلمانيين والديمقراطيين وغير ذلك. كلهم يقول: «أريد الإصلاح».

فلا بد من الاتّباع في منهج الدعوة حتى نصلح هذا الفساد الموجود الذي عم الأرض كلها، لا بد من الاتّباع أيضا في منهج الفهم والاستدلال، وفي التحليل والتحريم، والمعاملات وفي كل شيء من شريعة الله تبارك وتعالى.

وليس في الإسلام بدعة حسُنَّة؛ لأن جميع النصوص الواردة في تحريم البدعة جاءت عامة ولا استثناء فيها، قال صلى الله عليه وسلم: «كل بدعة ضلالة»، «كل» هذا لفظ عام. وقال أيضا: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»، «ما» : من الألفاظ المبهمة الدالة

على العموم، وقال أيضا: «من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد»، «عملا»: نكرة في سياق الشرط، فتدل على العموم.

فهذه وغيرها ألفاظ عموم في تحريم البدعة، ودلت على عموم باق على عمومه، لأن العام ثلاثة أنواع: **عامّ باق على عمومه، وعامّ مخصوص، وعامّ أُريد به الخصوص.**

- **العامّ الباقي على عمومه:** هو ما لم يرِد عليه تخصيص، مثل: «كل بدعة ضلالة».
- **والعامّ المخصوص:** هو ما ورد عليه تخصيص، مثل قوله تعالى: {تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ} [الأحقاف: ٢٥]، فقال تعالى: {تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا}، ثم استثنى المساكن فقال: {فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ}؛ فهذا عامّ مخصوص بدليل ورود مخصص عليه.
- **أما العامّ الذي أُريد به الخصوص:** هذا العامّ الذي أُطلِق بلفظ العموم وأُريدَ به فرد واحد، كقوله تعالى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ...} (آل عمران١٦٧)، وكأن القائل رجلاً واحداً.

وبعد هذا نسأل: أين الدليل على تخصيص قوله: «كل بدعة ضلالة»؟ **الجواب:** لا دليل على التخصيص فيبقى على عمومه، فلا دليل على ما يسمونه: «**بدعة حسُنَّة**».

وأما استدلالهم بحديث: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسلام سُنَّة حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسلام سُنَّة سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» (أخرجه مسلم ١٠١٧)؛ فليس فيه دليل لهم مطلقا، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال «سُنَّة حَسَنَةً»، ولم يقل «**بدعة حسُنَّة**»، والفرق كبير جدا بين اللفظين.

ثم المراد بـ«السُنَّة» في هذا الحديث: **الطريقة**، فاستعمل الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الكلمة بالمعنى اللغوي وليس بالمعنى الشرعي، لأنه لا يمكن أن يصف الرسول سُنَّتَه الشرعية بأنها «**سُنَّة سيئة**»!

فالسُنَّة الحسُنَّة: هي الطريقة الحسُنَّة التي تُسَنّ للناس، والسُنَّة السيئة: هي

الطريقة السيئة التي تُسَنّ للناس كالبدعة أو المعصية.

إذن فالمقصود بقوله: «مَنْ سَنَّ فِي الإسلام سُنَّة حَسَنَةً»؛ أي: من أحيا سُنَّة أماتها الناس، وهذا كقوله «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» (أخرجه مسلم ٢٦٧٤).

فهذا الحديث يشبه الحديث الذي استدلّوا به وهو: «مَنْ سَنَّ فِي الإسلام سُنَّة حَسَنَةً»، فمن قارن بين الحديثين عرف المعنى المقصود بوضوح، ويزيده وضوحا سبب ورود هذا الحديث؛ وهذا السبب مذكور في صدر هذا الحديث..

وذلك أن فقراء من مضر جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فحزن عليهم وتغيّر وجهه صلى الله عليه وسلم حزنا عليهم لشدة فاقتهم فقام خطيبا في الناس وحثّ الناس على الصدقة فلم يقم أحد، فحثّهم فأبطأوا ولم يقم أحد، ثم قام رجل وجاء بِصُرَّة من فضة ثم اقتدى الناس به وجاؤوا بالصدقات من الطعام والثياب حتى اجتمع شيء كثير، فتهلل وجهه صلى الله عليه وسلم فرحا بعد أن كان تمعّر حزنا عليهم، ثم قال: «مَنْ سَنَّ فِي الإسلام سُنَّة حَسَنَةً..» الحديث.

والسؤال الآن: هل الصدقة بدعة؟ لا أحد يقول إن الصدقة بدعة، إذن فالمقصود هنا أن ذلك الرجل اتّخذ طريقة حسُنَّة وهي أنه بادر إلى الصدقة وسبق غيره فاقتدى الناس به وتتابعوا على الصدقة ففاز بأجر نفسه وبأجورهم جميعا.

وأما استدلالهم بقول عمر: «نعمت البدعة هذه» في الاجتماع على صلاة التراويح في زمانه؛ فلا دليل لهم فيه، لأن لفظ «البدعة» هنا جاء بالمعنى اللغوي وهو الأمر البديع أي الذي لا مثيل له في وقته.

فالمعنى: أن الاجتماع على صلاة التراويح أمر بديع، أي حسن؛ لأنه لم يكن معروفا مدة طويلة وهي مدة خلافة أبي بكر وخلافة عمر رضي الله عنهما، أما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد صلاها جماعة في مسجده مدة ثلاث ليال ثم تركها خشية أن تُفرَض على الناس.

فصلاة القيام جماعة سُنَّة وليست بدعة، وإنما جاء هذا الوصف: «نعمت البدعة هذه» على الاجتماع.

إذاً البدع كلها محرّمة بلا استثناء، صغيرها وكبيرها، لأنها كلها تؤدي إلى الكفر، وكان السلف يقولون «البدعة بريد الكفر»؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار» يعني تؤدي إلى النار فقد تؤدي إلى الكفر.

والبدعة غالبا تبدأ صغيرة ثم تكبر وتؤدي إلى الكفر، وها هي الفرق الضالة أكبر شاهد على ذلك:

الخوارج: زاغوا عن الحق فصاروا كلاب أهل النار والعياذ بالله وبدأت بدعتهم بالغلو في النهي عن المنكرات حتى كَفَّروا المسلمين بالمعاصي واستحلّوا دماءهم وأعراضهم وأموالهم.

الرافضة: ابتدعوا الغلوّ في محبة علي وآل البيت فعبدوهم مع الله وكفّروا سائر الصحابة.

والصوفية: ابتدعوا الغلوّ في محبة الرسول والصالحين فعبدوهم من دون الله.

والمعطلة: غلوا في تعظيم العقل فابتدعوا بدعة تقديم العقل على النقل فردّوا الكتاب والسُنَّة بعقولهم.

وهكذا.. فالبدعة خطيرة جدا على دين الرجل لأنها تؤدي بالمبتدع إلى الكفر.

فهذا الحديث «من أحدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد» هو الميزان في الحذر من البدع عموما، وهو الميزان في وجوب الاتّباع لسُنَّة النبي صلى الله عليه وسلم في كل شيء؛ في العقائد والعبادات ومنهج الدعوة إلى الله ومنهج الفهم وفي التحليل وفي التحريم وفي المعاملات وفي كل شيء.

وأما حديث «انما الاعمال بالنيات» فهو الأصل في تصويب النية وعقدها قبل الدخول في العمل، كما تقدم تفصيله.

نسال الله العظيم أن ينفعنا وإياكم بما نقول ونسمع، وأن يجعلنا جميعا هداة مهتدين

على صراطه المستقيم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

● ○ ● ○ ● ○ ● ○ ● ○ ● ○ ● ○ ●

أسئلة الدرس الثاني من شرح جوامع الأخبار

السؤال الأول: هل يجوز أن ينوي المسلم بعبادته الدنيا والآخرة؟ اذكر مثالا على إجابتك.

الجواب: يحرم ذلك إلا فيما دل عليه دليل شرعي صحيح، مثل: صلة الأرحام، يجوز أن ينوي بها الثواب من الله في الآخرة، وزيادة الرزق والعمر في الدنيا، لقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» أخرجه البخاري: (٢٠٦٧، ٥٩٨٥، ٥٩٨٦)، ومسلم: (٢٥٥٧).

السؤال الثاني: عرف الاتباع والبدعة، وما دليل هذا التعريف لكل منهما.

الجواب:

الاتباع: هو التعبد بما كان عليه الرسول وأصحابه.

والبدعة: هو التعبد بما لم يكن عليه الرسول وأصحابه.

والدليل قوله عليه السلام في وصف الفرقة الناجية: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي» (أخرجه أبو داود ٤٥٩٧، والترمذي ٢٦٤١) وما شابهه.

السؤال الثالث: الاتباع ليس واجبا في الأعمال الظاهرة فقط، أذكر أنواعا أخرى من الاتباع.

الجواب: من أنواع الاتباع بالإضافة إلى الاتباع في العبادات الظاهرة؛ الاتباع في العقيدة والمنهج وهذا أهمها، والاتباع في منهج الدعوة إلى الله وفي المعاملات والأخلاق والتحليل والتحريم وفي كل عبادة.

السؤال الرابع: ما هو ضابط الاتباع في العقيدة والمنهج؟

الجواب: هو أن العقيدة والمنهج توقيفية فلا يجوز فيها الاجتهاد، ولا تؤخذ إلا من الكتاب

والسُنَّة وبفهم الصحابة والسلف الصالح عموما.

السؤال الخامس: ما هو ضابط اتباع السُنَّة في العبادات الظاهرة؟

الجواب: يكون ذلك بمتابعة السُنَّة في: زمن العبادة ومكانها وسببها وقدرها وجنسها وكيفيتها.

السؤال السادس: اتباع السُنَّة واجب في منهج الدعوة إلى الله، اشرح ذلك.

الجواب: يكون ذلك بأن تقوم الدعوة إلى الله على منهج الأنبياء وعلى اتباع السُنَّة وهما طريق واحد، وذلك بالدعوة إلى التوحيد أولا، وترك التحزب والخروج على حكام المسلمين، وعدم تكفير المسلمين، والدعوة إلى الله بالعلم والعمل به، وبالحكمة والموعظة الحسُنَّة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة لكل مسلم، والصبر على ما تقدم ذكره كما في سورة العصر.

السؤال السابع: يستدل القائلون بالبدعة الحسُنَّة؛ بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّة حَسَنَةً...» الحديث. بماذا تجيبهم؟

الجواب: ليس في الإسلام بدعة حسُنَّة، وأجيبهم بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «كل بدعة ضلالة» فهذا عام باق على عمومه حسب قواعد أصول الفقه.

أما قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّة حَسَنَةً فله أجرها...» الحديث، فالسُنَّة هنا بالمعنى اللغوي وهي: الطريقة؛ لأنه قال: «سُنَّة حَسَنَةً» و«سُنَّة سَيِّئَةً»، ولا يمكن أن يصف سنته بأنها سيئة!.

فمعنى الكلام أن من اتخذ طريقة حسُنَّة فأحيا بها سُنَّة مهجورة فله أجرها وأجر من عمل بها، ومناسبة الحديث تدل على هذا المعنى بوضوح.

هذا كقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» (أخرجه مسلم ٢٦٧٤).

فالمعنى في الحديثين واحد؛ وذلك لأن الرسول قال «سُنَّة حَسَنَةً» و«سُنَّة سيئة» ولم يقل «بدعة حسُنَّة» و«بدعة سيئة»، والفرق كبير بين اللفظين

والحمد لله رب العالمين